حول نقد ديوان

هكذا أغني

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأديب مختار الوكيل

يقول الأديب عباس حسان خضر إن محمود حسن اسماعيل، شاعر الريف النابغة ، صاحب ديوان «هكذا أغنى» «يمضى متدفقاً مندفعاً عنيفاً ، وفى كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق ، واعتساف فى الفكر وفى التعبير - كما نبين فيما يأتى - معتمداً فى ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله، غير متقيد ولا محترس ، فهو يعول على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية . »

ولم يتبع هـذا الكلام بيانٌ دقيقٌ عن عدم اكتراث الشاعر بسلامة الذوق واعتساف الفكر والتعبير كما قال ؛ وإنما مضى يقول بعد ذلك :

«ويمتاز شعر هذا الديوان بشئ لعلى موفق إذْ أسميه «الروعة» وهو ذلك الذى يستغرق المشاعر ويروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف ، ولعل مبعثه بعد المدى فى الخيال ، والايغال فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض ! »

ويفهم أى قارئ لهذا الكلام أن الكاتب يحاول أن يهاجم الشاعر النابغة ولكن إحساسه الباطنىّ بشاعرية محمود اسماعيل تخونه فى التعبير الذى يقصد ! فالكاتب يذكر أول الأمر أن محموداً فى شعره متدفق مندفعٌ عنيفٌ ، ولكنه لا يكترث غالباً بسلامة الذوق ، ويعتسف فى الفكر والتعبير ؛ وبمعنى آخر يريد أن يقول إن محموداً شاعرٌ مطبوعٌ ملهمٌ ولكنه لا يجيد صناعة الألفاظ، وهذا الكلام فى صالح محمود ولعل الكاتب لم يقصد إليه .

وقوله بعد ذلك إن الشاعر يأخذ الذهن إلى عوالم متنائية الأطراف وإنه بعيد مدى الخيال ، وإنه يوغل فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض اعتراف صريح بعبقرية الشاعر ؛ فما أظن أن هناك تعريفاً لشعر شاعر أجمل من هذا التعريف الذى ندّ به قلم الكاتب الفاضل عن غير قصد . أقول عن غير قصد ، ومعي الدليل البيّن على ذلك ، إذ لم تمض بضعة سطور على هذه الاشادة الظاهرة بشاعرية محمود ، حتى يفجأ الكاتب قارئه بنقد لبيت رائع من قصيدة « دمعة فى قلب الليل » . فالكاتب يسخر من قول الشاعر النابغة فى حديثه عن الدموع :

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبى وعتقت فى دمائى !

بقوله : « فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيها أمام طست الغسيل تعصر تلك المطارف والأثواب ... »

وهذا الكلام لا يجوز أن يدلى به ناقد يفهم المعادن الشعرية فهماً كاملاً ، أو يكد ذهنه فى اكتشاف الخبيء من المعانى الجليلة التى ينشط خيال الشاعر الجبار فى اقتناصها

* * *

وكما بينت ، يتردد الكاتب فى إظهار حقيقة عواطفه نحو الديوان فى بعض الأحيان ، فهو يعود فيطري قصيدة « ثورة الاسلام فى بدر » . وما كان فى وسعه أن يعدو ذلك أو يقول بنقيضه ؛ بيد أنه يقول من أبيات محمود الخالدة :

وقف المغنى فى حماك مجلجلاً باللحن تخفق فى الورى أصداؤه

فيه من الأقدار وهلة غيبها خبأته عن لمح الحجا أطواؤه

ومن الكتائب أرزمت أسلاتها   صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن المواكب هولها في فيلق   نشوان في يوم الفخار لواؤه

من قصيدة « يوم التاج » التي أذاعها الشاعر في مهرجان الوادي بتتويج صاحب الجلالة المليك المحبوب : « فأي مغن هذا المجلجل الذي اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق؟! إن هذه الصفات الروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربي) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ... »

يا أيها الكاتب المحترم ، كيف عرفت أن الشاعر قال هذه الأبيات في مغن معين ؟ ! لم يقل محمود هذه الأبيات في عبد الوهاب ولا في عبد الحي ، ولو قال في أيهما لما كان شاعراً وإنما قالها في هذا الشعب العظيم الذي شملته نشوة روحية بيوم التاج السعيد ، فانطلق يغني غناء الشعوب ، تجلجل ويجتمع في غنائها هولة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق ؟! كما تقول أنت حقاً !! ومحال أن تصطلح هذه الصفات على مغن من (مطربي) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة كما تقول ... ! فالشاعر الذي يأخذ مثله الأعلى من أية محطة للاذاعة ، بل من أية موسيقى هزيلة ضعيفة، ليس بحقيق أن يدعى شاعراً ، ولكن الشاعر الذي يبشر بمقبل باسم للموسيقى ، إذ يتوجه بها إلى القوة وتصوير الحروب والكتائب ، على نحو ماتأتى به موسيقى « فردي » و « بيتهوفن » و « موزار » وأضرابهم من العباقرة هو الشاعر الذي تحلم به مصر ، وهو الشاعر الذي يأتي ليرق الأحاسيس ، وينمي الابتكار الخيالي ، المنعدم مع الأسف في محيط الحياة المصرية قاطبة !!

ثم يهاجم الكاتب هذه الصورة الرائعة التي أغبط الشاعر عليها بحق :

الوجه ساج كصلاة الغدير   بين الطيور !

فهو كان يحب أن تصلي الطيور للغدير وهي تحسو الماء منه ، وهذا هو المعنى الذي لا يصح أن يلتفت إليه الناقد المدقق، ولكن المعنى العميق الدقيق هو أن الغدير في سجوه وهدوئه يؤدي صلاة روحية عميقة ، والطيور حواليه ترشف منه ساعة صلاته وذهوله؟ فهو ينظر إلى حركة الطيور الآلية عند ماترشف الماء من الغدير على أنها صلاة. والواقع أن الصلاة لا تصدق من الظامئ المهموم المشغول بحسو الماء من الغدير، ولكنها تصدق كل الصدق من الغدير الساجي الهادئ المعطي الباذل ماءه للطيور الظماء !

وهل يجهل الناقد أن هنالك شيئاً في الشعر اسمه « امتزاج الأحاسيس » وأن هذا الشيء كتب فيه الشعراء واستعان به الكتاب، ولعل ابن الرومي هو الذي أتقن هذا النوع من الشعر. ولماذا نذهب بعيداً فالرافعي رحمة الله عليه — يقول في بعض كلامه « واقتليني يا حبيبتي قتلة ممطرة ! ! » وعلى هذا الأساس يجب أن يعيد الكاتب النظر في هذه الأبيات حتى يخرج منها بالصور المركزة الدقيقة التي عناها الشاعر في قصيدته « في لهيب الحرمان » و « الذهول »

* * *

وأختتم هذه الكلمة العابرة راجياً أن يراجع الكاتب الأديب مدارسة الديوان فسيجد فيه فتحاً جديداً في الشعر المصري ، واتجاهات رائعة أغفلها الشعراء عندنا . سيجد حديثاً عن الريف ، ومظاهر الطبيعة الحزينة والطروب ، وسيجد تعبيراً عن آلام الفلاح المصري ، وسيجد غزلاً مطرباً صادقاً ، وعند ذلك يكتب عن شاعر الريف الجديد الذي نبغ على صغر سنه ، في هذا المضمار الرائع المستقل .

وستتبع هذه الكلمة بحديث مسهب عن شعر محمود اسماعيل إذا سمحت الظروف وسمحت « الرسالة » .

مختار الوكيل

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الكاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع في قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع في جميع المكاتب الشهيرة